البيان والتعريف
في ذِكرى المولد النَّبَويّ الشَّرِيفِ

بقلم

الشيخ السيد محمد بن عَلَوي المالكي الحسني



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فهذه فصول في السيرة النبوية انتخبت أكثرها من كلام العلماء الكرام كالإمام المناوي والبرزنجي وابن الديبع والحبشي والوائلي والنبهاني رضي الله عنهم وهي مختارات علميَّة أحببت أن تُقرأ في مجالس المولد النبويّ الشَّريف لأنها في الحقيقة مجالس تذكير وإرشاد، ودعوة وإصلاح وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر. وكيف لا تكون كذلك وصاحبها هو المعلِّم البشير النذير المذكر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. فأعظم ما يُسره ويفرح به وتقرّ عينه به هو أن تكون مجالس مولده الكريم على منهجه القويم وصراطه المستقيم.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه.

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود، فأقول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أنارَ الوجودَ بطلعةِ خيرِ البريّة. . . سيدنا محمد عليه الصلاةُ والسلامُ، قمر الهداية، وكوكب العناية الربانية. . . مصباح الرحمة المرسلة، وشمس دين الإسلام، من تولّاه مولاه بالحفظ والحماية والرعاية السرمدية، وأعلى مقامه فوق كل مقام، وفضّله على الأنبياء والمرسلين ذوي المراتب العلية، فكان للأولين مبدءاً وللآخرين ختام، وشرّف أمته على الأمم السابقة القبلية، فنالت به درجة القرب والسعادة والاحترام، وأنزل تشريفها في محكم الآيات القرآنية بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠] فما أعذب هذا الكلام!.

أحمده أن جعلنا من هذه الأمة المخصوصة بهذه المزية، الفائزة بالوصول إلى دار السلام، وأشكره على هذه العطية، وأستعين به وأستهديه على الدوام، وأتوب إليه من الأوزار والزلل والخطية، وأستغفره من الذنوب والآثام، وأطلب الفوز بقربه والرجاء والأمنية، وأسأله العفو والعافية وحسن الختام، وأشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله القديم في ذاته الأحدية، المنفرد بالإيجاد والإعدام، شهادة أتخلص بها من النزغات الشيطانية، وأنتظم بها في سلك قوم مخلصين لهم في العبادة أقام، وأشهد أن سيدنا محمداً الذي فتح الله بمعناه أبواب النشأة الوجودية، وختم بصورته نظام الأنبياء والمرسلين الكرام.

أما بعد، فإن عمل المولد النبوي الشريف من أعظم الأعمال المشكورة ومن أشرف سبل الدعوة المبرورة، فَبِهِ تتجدد ذكرى مولد سيد الوجود؛ وخلاصة كل موجود، الذي أفاض على العالم من أنواره ما ساروا به في صراط مستقيم؛ وشملهم من أسراره، فنالوا به الفضل العظيم. وما زال الناس من قديم وحديث يحتفلون بمولد سيد الكائنات بطريقة شرعية سلفية وصورة شريفة مرضية يجتمع فيها كبار العلماء والوجهاء وعامة الناس ويعطرون مجلسهم ذلك بالصلاة والسلام على سيِّد السادات محمد بن عبد الله صلَّى الله عليه أفضل الصلوات.

قال الحافظ ابن حجر: وقد ظهر لي تخريجه على أصل ثابت؛ وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم،

فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجَّى موسى. فنحن نصومه شكراً لله تعالى، فقال ﷺ: «نحن أولى بموسى منكم». فَيُستفاد منه فعل الشكر على ما منَّ به في يومٍ معينٍ، من إسداء نعمة، أو دفع نقمة. ويُعاد في نظير ذلك اليوم من كلِّ سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة، كالسجودِ والصيام، والصدقة، والتلاوة. وأيُّ نعمةٍ أعظم من بروز هذا النبي ـ نبي الرحمة ـ في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٤].

وقال السيوطي: قد ظهر لي تخريجه على أصل آخر؛ وهو ما أخرجه البيهقي، عن أنسٍ أن النبيَّ ﷺ عقَّ عن نفسه بعد النبوّة، مع أنه قد ورد أن جدّه عبد المطلب عقّ عنه ـ في سابع ولادته ـ والعقيقةُ لا تعاد مرة ثانية، فيُحمَلُ ذلك على أن الذي فَعَلَهُ النبي ﷺ إظهارٌ للشكرِ على إيجاد الله إياهُ رحمةً للعالمينَ، وتشريعٌ لأمته. فيُستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده ﷺ، وقال تعالى ـ مخاطباً نبيَّهُ الكريم ـ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هُود: الآية ١٢٠] فإذا كان الرسول ﷺ الذي مُلىءَ قلبه إيماناً محتاجاً إلى تثبيت القلب، بما يقصهُ الله عليه من أخبار من تقدمه من الرسل، فيجد عزاءً وسلوةً بما يصيبه من قومه، فنحن أربابُ الضعفِ ـ مِنَ الإيمان ـ أولى بالتثبيت؛ وأحوج منه عليه الصلاة والسلام، لا سيما في هذا الزمان الذي بَعُدَ عنّا نور النبوّة، فأصبحنا نتخبط في دياجيرَ مظلمةٍ من الجهل، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. فتعمهم بركاته وخيراته، لا سيما إذا كان على طريقةٍ شرعيةٍ مرضيةٍ. فرَحِمَ الله أمرءاً أظهرَ السرور والابتهاج والفرح التَّام بمولده الشريف في كل الليالي والأيام، وخصوصاً في مناسبة ذكرى مولده عليه الصلاة والسلام التي تتكرر في كل عام، والتي يجتمع الناس فيها على حضور مولد سيد الأنام، فيُذَكّرهم قارىءُ قصة المولد الشريف بسيرته وأخلاقه، ويسرد لهم طرفاً من أعماله وأحواله، فيحصل لهم التأسي المشار إليه بقوله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

وقد قال إمام القرّاء الحافظ شمس الدين الجزري في كتابه «عرف التعريف بالمولد الشريف»: رؤي أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه خفف عني كل يوم اثنين، فأَمُصُّ ـ من بين إصبعي هاتين ـ ماءً؛ بقدر هذا، وأشار برأس اصبعيه، وإن ذلك بإعتاقي ثويبةَ جاريتي عندما بشّرتني بولادة النبيِّ ﷺ وبإرضاعها له. رواه الإمام البخاري في صحيحه معلقاً.

فإذا كان أبو لهب الكافر ـ الذي نزل القرآن بذَمِّهِ ـ جُوزي في هذا بفرحِهِ ليلة مولِدِ النبيِّ ﷺ، فما حال المسلم الموحِد من أمة النبيِّ ﷺ الذي يُعنى بنشر مولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ، إننا لا نشك في أن الرجاء في الله أن يكون جزاؤه من الله

الكريم أن يدخله بفضلِهِ جنات النعيم.

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي في كتابه «مورد الصادي في مولد الهادي»: وقد صحَّ أن أبا لهب قد خفّف عنه عذاب النار في يوم الاثنين، بإعتاقه ثويبةَ سروراً بميلاد النبي ﷺ، ثم أنشد:

إذا كان هذا كافِراً جاءَ ذَمُّهُ ... بِتَبَّتْ يَدَاهُ في الجَحِيمِ مُخَلَّدا
أتَى أنَّهُ في يومِ الاثنينِ دائِماً ... يُخفَفُ عنه للسُّرُورِ بأحْمَدَا
فما الظَّنُ بالعبدِ الذي كان عُمرُهُ ... بأحْمَدَ مَسرُوراً ومات مُوَحِّدَا

وقد سُئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر عن المولد؟ فأجاب: أصل عمل المولد بدعة، لم تنقل عن أحد.

وقد اختار أن عمل هذا المولد من البدع الحسنة، والعوائد المستحسنة... الحافظ أبو شامة الدمشقي الشافعي شيخ الإمام النووي والحافظ شمس الدين أبو الخير ابن الجزري؛ وألَّف فيه «عرف التعريف بالمولد الشريف»، والحافظ أبو الخطاب بن دحية، وألَّف فيه «التنوير بمولد البشير النذير»، والحافظ ابن رجب الحنبلي، والحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي وألّف فيه «مورد الصادي بمولد النبيِّ الهادي»، والحافظ زين الدين العراقي الأثري، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وخرَّجه على أصل ثابت في الصحيحين. والحافظ جلال الدين السيوطي وخرَّجه على أصل آخر، وألَّف فيه «حسن المقصد في عمل المولد» وقد أطال فيه في الاستدلال على أن عمله بشرطِهِ محمودٌ مثابٌ عليه، والشيخ الإمام الفقيه الأوحد أبو الطيب السبتي - نزيل قوص - وهو من أجلاَّء المالكية، والعارف بالله بل سيد العارفين به في زمانه أبو عبد الله سيدي محمد بن عباد النفري في «رسائله الكبرى» في مواضع منها، وغيرهم ممن يكثر جداً.

(اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَيْهِ)

يوم المولد

اعلموا أنه ما أكرمَ أيام مولِدِهِ الشريفة عند من عرف قدرها، وما أعظم بركتَها عند مَنْ لاحظ سِرَها، ففي شهر ربيع الأول انبثقت عن جوهرةِ الكونِ بيضةُ الشرف، وفي يوم الاثنين منه ظهرت الدرة المصونة من باطن الصدف، وبـ«مكة» المشرّفة أنجز صادق الوعد بمضمون الكرم، حملت به أمه في شهر رجب الأصمّ، ومات أبوه وحمله ما استتم، ثم أدّت ما حملته من الأمانة آمنة، وكانت مما تشكو الحوامل آمنة، فحينئذ أسفر صبح السعادة وبدا، وبشرت طلائعه بطلوع الشمس الهدى، وطوق جِيْد الوجود بعقود الإفضال، ودارت أفلاك السعود بقطب دائرة الكمال، فوضعته ﷺ نوراً يتلألأ سناه.

طَـلـعَ الـبـدرُ عـلـيـنـا ... مـن ثـنـيـة الـوداع
وجـب الـشـكـرُ عـلـيـنـا ... مـا دَعـا لـلّـهِ داع
أيُّـهـا الـمـبـعـوثُ فـيـنـا ... جـئـت بـالأمـرِ الـمُـطـاع
جِـئْـتَ شـرّفـتَ الـمـديـنـةَ ... مـرحـبـاً يـا خـيـرَ داع
ومُـحـيّـا كـالـشـمـس مـنـه مُضِـيءٌ ... أسـفـرت عـنـه لـيـلـةٌ غـراءُ
لـيـلـةُ الـمـولـد الـذي كـان لـلـديـن ... سـرورٌ بـيـومـه وازدهـاءُ
يـومَ نـالـت بـوضـعـه ابـنـة وهـب ... مـن فـخـار مـا لـم تـنـلـه الـنـسـاءُ
وأتـتْ قـومـهـا بـأفـضـل مـمـا ... حـمـلـتْ قَـبْـلُ مـريـمُ الـعـذارءُ
مـولـدُ كـان مـنـه فـي طـالـع الـكـ ... ـفـر وبـال عـلـيـهـم ووبـاءُ
وتـوالـتْ بـشـرىٰ الـهـواتـف أن قـد ... وُلِـدَ الـمـصـطـفـى وحـقّ الـهـنـاءُ

مسألة القيام في المؤلِد:

وقد جرت العادة بالقيام عند قراءة مولده عليه الصلاة والسلام لدى ذكر الوضع الشريف، وما يتبعه من حسن التوصيف، وهذا القيام لم يفعله السلف، وإنما عَمِلَ به مَنْ بعدهم مِن الخلف، وليس هو في الحقيقة للذات المحمديّة كما توهمه قوم من البرية، فاعترضوا وأطنبوا، وإلى إنكار فعله ذهبوا، وإنما هو قيام فرح وسرور، وابتهاج وطرب وحبور، ببرزوه ﷺ لهذا الوجود وإشراق نوره فيه على كل موجود، وشكر لله تعالى على ما به أولى من هذه النعمة العظيمة، والمنَّة الجسيمة، التي هي مِنَّة الإنعام به على الخليقة، ومن غير استحقاق منهم، ولا سبب ظاهر، ولا عمل طريقة، والقيام فرحاً بالمصطفى ﷺ أو بما هو منه أو راجع إليه، له أصل أصيل في الشرع الشريف، يعتمد ويعول عليه. فقد لعبت الحبشة بحرابهم المستلزم لزفنهم واضطرابهم لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة فرحاً بقدوم طلعته المباركة. أخرج ذلك أبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك. وكذلك لعبوا في المسجد النبويِّ في يوم عيد من الأعياد بالدرق والحراب لعبهم المعتاد، وجعلوا يزفنون ـ أي يرقصون ـ والنبيُّ ﷺ وعائشة ينظران إليهم وهو عليه الصلاة والسلام يقول تنهيضاً لهم وتنشيطاً: «دونكم يا بني أرفدة»، يعني جدُّوا فيما أنتم فيه من هذا اللعب المباح، الذي لا حرج فيه ولا جناح! والأحاديث بذلك في الصحيحين وغيرهما مسطَّرة، ولدى كل إمام من أئمة الحديث معلومة مقررة.

وفي حديث أحمد وابن ماجه عن قيس بن سعد بن عبادة أنه عليه الصلاة والسلام كان يُقلس له ـ أي يضرب بين يديه بالدفّ والغناء ـ يوم الفطر! ذكره في الجامع الصغير. وما كان ذلك في الحقيقة إلا فرحاً بالحضور عنده، والمثول بين يديه في هذا العيد

المبارك الذي يغبط فيه بوجوده بينهم، ويحن إليه. وليس المقصود من لعب الحبشة في المسجد مجرد التدرب ـ كما ادعاه بعضهم ـ لأن المسجد ليس محلاً لذلك، ولا جرت العادة فيه بما هنالك. وكذلك لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة، خرج جوارٍ من بني النجار في الطرقات، يضربن بالدفوف، ويَقُلن بالأصوات المرتفعات:

نحن جَوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار

وزاد بعضهم:

فمرحباً بذا النَّبِي المختار ومرحباً بسيِّد الأبرار

الحديث ذكره أبو سعد النيسابوري في «شرف المصطفى» وغيره، وأخرجه البيهقي وشيخه الحاكم عن أنس، وما ذاك أيضاً إلاَّ فرحٌ وابتهاج برؤية جماله، وابتهاج بقدومه وإقباله، وفي ابن ماجه عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام مرَّ ببعض أزقّة المدينة، فإذا هو بجوارٍ يضربن بدفهن ويغنين ويقلن:

نحن جَوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال عليه الصلاة والسلام: «الله يعلم أني لأحبكن». وقد ورد عن عدة من الصحابيات أن كل واحدة منهن نذرت لله تعالى ـ إن ردّه الله سالماً من بعض أسفاره، أو من بعض الغزوات ـ أن تضرب بالدفّ على رأسه الشريف فرحاً برجوعه سالماً آمناً مطمئناً، فأمرهن عليه الصلاة والسلام بأن يفين بنذرهن بالتمام! وفي ذلك روايات عن غير ما واحد من الرواة في سنن أبي داود، وجامع الترمذي وغيرهما. ولفظ رواية الترمذي في مناقب عمر عن بريدة قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنتُ نذرتُ إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدفّ وأتغنى، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن كنتِ نذرت فاضربي؛ وإلا فلا... فجعلت تضرب!». الحديث. قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة. ومن نحو هذا ما أخرجه العقيلي، وأبو نعيم من حديث جابر بن عبد الله قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة، تلقاه رسول الله ﷺ، فلما نظر جعفر إلى رسول الله ﷺ حجل، قال سفيان بن عيينة أحد رواته: يعني مشى على رجل واحدة إعظاماً منه لرسول الله ﷺ، فقبّل رسول الله ﷺ بين عينيه، الحديث.

وفي مسند أحمد من حديث عليٍّ بسند لا ينزل عن درجة الحسن: حجل زيد بن حارثة، وجعفر وعلي بين يديه ﷺ لما قال للأول: أنت مولاي، وللثاني: أنت أشبهت خَلْقي وخُلُقي، وللثالث: أنت مني وأنا منك! وعند ابن سعد في طبقاته من مرسل محمد الباقر بإسناد صحيح إليه: فقام جعفر فحجل حول النبيِّ ﷺ، دار عليه.

والحجل: قال في النهاية: أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح. وقال

الحافظ: هو رقص بهيئة مخصوصة، ولا شك أن حجل سيدنا جعفر عند قدومه من الحبشة كان إجلالاً له، وإعظاماً وفرحاً برؤياه وإكراماً. وحجله مع الاثنين المذكورين معه كان فرحاً بثنائه عليهم، وتلذذاً بخطابه لديهم، وشكراً على ما أولاهم، وبه أكرمهم وحباهم، من الإضافة إليه، التي هي أجل شيء يعتمد عليه. وقد أقرهم النبيُّ ﷺ على فعلهم. وما أنكر بقول ولا فعل عليهم.

ويصح أن يكون هذا القيام الذي يقع عند ذكر ولادته، لتصور السامع في تلك اللحظة أن الكون كله في فرح وسرور بولادة النبيِّ ﷺ، وخروجه إلى الدين؛ فيقوم السامعون جميعاً فرحاً وسروراً وابتهاجاً بهذه النعمة، معبرين بذلك عن شعورهم وحبِّهم فهي مسألة عادية محضة، وليست عبادة ولا شريعة ولا سنّة. ولذلك يقول البرزنجي في مولده المنظوم:

وقد سنّ أهلُ العلمِ والفضلِ والتُّقى قياماً على الأقدامِ مع حُسنِ إمعانِ
بتشخيصِ ذات المصطفى وهو حاضرٌ بأي مقامٍ فيه يذكر بل دانِ

فلاحظ قول الإمام البرزنجي ـ صاحب المولد ـ في هذه المسألة «بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر» فهذا في غاية الإنصاف والصواب. ويقول البرزنجي في مولده المنثور: هذا وقد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية ورويَّة، فطُوبى لمن كان تعظيمه ﷺ غاية مرامه ومرماه.

ونعني بالاستحسان للشيء هنا كونه جائزاً من حيث ذاته وأصله، ومحموداً مطلوباً من حيث بواعثه وعواقبه، لا بالمعنى المصطلح عليه في أصول الفقه. وأقل الطلاب علماً يعرف أن كلمة (استحسن) يجري استعمالها في الأمور العادية المتعارف عليها بين الناس، فيقولون: استحسنت هذا الكتاب، وهذا الأمر مستحسن، واستحسن الناس هذه الطريقة، ومرادهم بذلك كله هو الاستحسان العادي اللغوي، وإلاَّ كانت أمور الناس أصولاً شرعية، ولا يقول بهذا عاقل، أو من عنده أدنى إلمام بالأصول. فليكن القيام فرحاً بزمن ولادته، وتشرّف الكائنات بطلعته كذلك، من غير فارق هنالك، ولذا صدر في هذا الموضوع من غير ما واحد ممن يُقتدى به علماً وديناً وورعاً. وأضحى جمهور الأمة له في ذلك متبعاً، فلا بأس ولا حرج ولا التباس لإطباق السلف ومن بعدهم من الخلف وأئمة المذاهب في المشارق والمغارب على استحباب القيام عند زيارته عليه الصلاة والسلام، ومواجهة وجهه الشريف، والمثول لدى قبره الطاهر المقدس المنيف.

وقد ثبت في الصحيحين قيامه ﷺ لنساء الأنصار وأبنائهم الصغار. وورد أيضاً قيامه لسيدتنا فاطمة، ولسيدنا علي، ولسيدنا العباس، وكذا لغيرهم من بعض الناس. وصح قيامه للتوراة ـ أي التي لا تبديل فيها ـ كما ذكره ابن حجر المكي في «شرح

المنهاج» راجع نصه الذي لا تحريف فيه ولا اعوجاج، وقيامه للملائكة المكرمين الذين يصحبون جنازة من مات، ولو من اليهود غير المحترمين، وقد صح أمره أيضاً بالقيام لأهل السيادة والاحترام في قوله لمن حضر من الأنصار، أو من عموم الصحابة الأبرار: «قوموا إلى سيِّدكم!» أو قال: خيركم. وزعم من زعم أنه إنما أمرهم بذلك لإنزاله عن دابته لأنه مريض ويحتاج إلى مساعدة فهو قول غير مقبول لدى علماء التحقيق وأئمته، لوجوه قرروها، وفي كتبهم سطَّروها، ومنها أنه قال: قوموا لسيدكم أو خيركم، فأقل طلبة العلم يعلم أن الحكمة من القيام مستفادة من قوله: سيدكم أو خيركم وهي التقدير والاحترام له من حيث فضله وسيادته ولو كان غير ذلك لقال: قوموا لمريضكم أو أعينوا صاحبكم، ونهيه ﷺ عن القيام له في حياته هو عند غير واحد من العلماء من باب النهي عما هو أحق وأولى تواضعاً منه، وإسقاطاً لبعض واجباته.



وبرز الحامد المحمود

وقد وُلد ﷺ واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، مقطوع السّرة مختوناً، منزّهاً عن قذر النفاس مكرماً، فأضاءت له قصور بصرى من أرض الشام، وخمدت نار فارس التي يعبدونها، ولم تخمد منذ ألف عام! وانشقّ لهيبته حين وُلد إيوان كسرى، وتواصلت من الرهبان والكهان هواتف البشرى، وأشرقت مطالع الأنوار بميمون وفادته، وتعبَّقت أرجاء الأقطار بطيب ولادته، وخرّت الأصنام على وجوهها إذعاناً لسيادته، فأرضعته ثويبة مولاة عمّه أياماً، ثم تولت منه حليمة السعدية رضاعاً وفطاماً، فشملتها البركات بحضانته، ولم تزل تتعرف الخيرات في مدته، فدرّ ثديُها عليه بعد أن كان عاطلاً، وجادت شارفها باللبن بعد أن كانت لا تروي ناهلاً، وأسرعت أتانُها في السير وقد كانت ثاقلاً، وأخصبت بلادُها وكانت قبل ذلك ماحلاً. ثم فصلته بعد أن تم له الحولان، وكان يشبّ شباباً لا يشبّه الغلمان، وظهرت له في صغره مخايل نبوّته، وأخذه الملكان من بين الصبيان، فشقَّا من تحت صدره إلى سرَّته، فاستخرجا منه علقة سوداء، وغسلاه بماء زمزم، ثم ختماه بالحكمة والإيمان.

وما استخرج الأملاك من صدره أذًى ... ولكنما زادوه طهراً على طهر

ثم ماتت لسنّ تمييزه أمُّه، وكَفلَهُ جدُّه ثم عمُّه، ولم يزل ﷺ ينشأ وعين العناية ترعاه، وتحفظه مما يحذره ويخشاه، ومنحه الله تعالى منذ نشأ كل خُلُقٍ جميل، وأحلّه

من القلوب في المحلِّ الجليل، وعُرف من بين أقرانه بالعفَّة والصيانة، وتميزه عند أهل زمانه بالصدق والأمانة، ولما أخذت مطالع بعثته في أفق سمّوها، وآن لشمسِ نبوّته أن تطلع من علوّها، حبّب إليه الخلوة للأنس بربّه، وكان يخلو في حراء ويتنعم بقربه، وكانت تظهر له الأضواء والأنوار، وتُسلِّم عليه بالرسالة الأحجارُ والأشجارُ.

* * *

(اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك عليه وعلى آله وصحبه)

* * *

ثم كان وحيه مناماً، وتعليمه إلهاماً، فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح، ولا ينوي أمراً إلا ظفر بالفوز والنجح. فلما بلغ الأربعين، جاءه جبريل الأمين، من ربه ذي الجلال بمنشور النبوّة والرسالة، فأقرأه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: الآيات ١-٥]، فمكث ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة، يدعوهم إلى سبيل ربه ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: الآية ١٢٥]، فآمن به من سبقت له السعادة في دار البقاء، وكذَّب به من كُتب عليه في الأزل الشقاءُ.

ولعشر سنين من مبعثه الكريم، خصَّه الله بالإسراء العظيم، فسار وجبريلُ مصاحب له إلى أعلى السماوات العُلى، وجاوز سدرة المنتهى، وشَرُف بالمناجاة في المقام الأسنى، ونال من القرب ما ترجم عنه: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: الآية ٩]. ثم هاجر إلى دار هجرته، ومأوى أنصارِهِ وأسرته، فسلَّ سيفَ الحق من غمده، وجاهد في سبيل الله غاية جهده، حتى فتح الله له أقفال البلاد، ومكَّنه من نواصي العباد، وأظهر دينه على الدين كله، ثم توفاه عند حضور أجله، إلى ما أعدّ له في جنات النعيم، من الكرامة والفوز العظيم. فسبحان من حباه بأنواع الإكرام، وأرسله رحمة لجميع الأنام، وجعله سيّد ولد آدم ومعولهم، وخاتم النبيين وأولهم، ونسخ بشرعه الشرائع، وملأ بذكره المسامع، وشرّف برسالته المنائر والمنابر، وقرن ذكره بذكره في لسان كل ذاكر، وذلل كل صعب لطلابه، وأمده بملائكته الكرام تجاهد في ركابه.

وأول من آمن به من الرجال أبو بكر صاحبُ الغار، ومن الصبيان عليٌّ، ومن النساء خديجةُ التي ثبت الله بها قلبه ووقاه، ومن الموالي زيدُ بن حارثة، ومن الأرقّاء بلالٌ الذي أولاه مولاه أبو بكر من العتق ما أولاه، ثم أسلم عثمان، وسعد، وسعيد، وطلحة، وابن عوف، وابن عمته صفية، وما زالت عبادته ﷺ وأصحابه مخفية، حتى أنزلت عليه ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحِجر: الآية ٩٤] فجهر بدعاء الخلق إلى الله، ولم يبعد منه قومه حتى عاب آلهتهم، وأمر برفض ما سوى الوحدانية، فتجرأوا على مبارزته بالعداوة

وأذاه، واشتد على المسلمين البلاء، فهاجروا في سنة خمسٍ إلى الناحية النجاشية، وحدب عليه عمُّه أبو طالب، فهابه كل من القوم وتحاماه، وفرض عليه قيام بعض من الساعات الليلية، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المُزمّل: الآية ٢٠]، ومع ذلك فقد كان يواظب عليه طول حياته الزكية وفُرض عليه ركعتان بالغداة، وركعتان بالعشية، ثم نُسخ بإيجاب الصلوات الخمس في ليلة مسراه، ومات أبو طالب في نصف شوال من عاشر البعثة، وعظمت بموته الرزية، وتلته خديجة بعد ثلاثة أيام، وشد البلاء على المسلمين عراه، وأوقعت قريش به ﷺ كل أذية، وأمَّ الطائف يدعو ثقيفاً فلم يحسنوا بالإجابة قراه، وأغروا به السفهاء والعبيد، فسبّوه بألسنة بذية، ورموه بالحجارة حتى خضبت بالدماء نعلاه، ثم عاد ﷺ إلى مكة حزيناً، فسأله مَلَكُ الجبالِ في إهلاك أهلها ذوي العصبية، فقال: «إني أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يتولاه»، ثم أُسري بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ورحابه القدسية، وعُرِجَ به إلى السماء، ثم رُفع إلى سدرة المنتهى، إلى أن سمع صريف الأقلام بالأمور المقضية، إلى مقام المكافحة الذي قرّبه الله فيه وأدناه وفرضَ عليه وعلى أمته خمسين صلاة، ثم انهلّ سحاب الفضل، فرُدَّت إلى خمسٍ عملية، ولها أجرُ الخمسين، كما شاءه في الأزل وقضاه، ثم عاد في ليلته فصدَّقه الصدِّيقُ بمسراه، وكل ذي عقل ورويّة، وكذَّبته قريش، وارتد من أضلَّه الشيطان وأغواه.

ثم عرض نفسه على القبائل بأنه رسول الله في أيام موسم الحج، فآمن به ستة من الأنصار، اختصهم الله برضاه. وحجَّ منهم في العام القابل اثنا عشر رجلاً، وبايعوه بيعة حقيَّة. ثم انصرفوا، فظهر الإسلام بالمدينة فكانت معقلَهُ ومأواه، وقدِمَ عليه في العام الثالث سبعة من الأوس والخزرج، فبايعوه، وأمَّر منهم اثني عشر نقيباً، فهاجر إليهم من مكة ذو الملَّة الإسلامية، وفارقوا الأوطان رغبة فيما أُعِدَّ لمن هجر الكفر وناواه. وخافت قريش أن يلحق ﷺ بأصحابه على الفوريَّة، فأتَمرُوا بقتله فحفِظَه الله تعالى من كيدهم ونجَّاه. وأُذن له ﷺ في الهجرة، فرقِبَهُ المشركون ليقتلوه، فخرج عليهم ونثر على رؤوسهم التُّراب وحثاه، وقصد غار ثورٍ وفاز الصِدِّيق فيه بالمَعِيَّة. وأقاما فيه ثلاثاً تحمي الحمائم والعناكب حِماه. ثم خرجا منه ليلة الاثنين وهو ﷺ على خير مطِيَّة، وتعرَّض له سُراقة فابتهل فيه إلى الله ودعاه، فساخت قوائم فرسِهِ وسأله الأمان فمنحه إياه، ثم عاد

إلى فعلته الأولى بهمةٍ قوية، فساخت قوائم فرسه في تلك الأرض كما حصل في المرة الأولى، فطلب العفو فعفا عنه السيد الكريم عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم. قيل: وفعل ذلك مرة ثالثة فطلب العفو والمسامحة، وصار هو الذي يرد الطلب عن النبيِّ ﷺ في تلك الجهة، ويقول لمن أراد أن يتوجَّه إليها: ارجعوا فقد كفيتُم هذه الناحية، وقدِمَ ﷺ المدينة يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول، وأشرقت به أرجاؤها الزكية، وتلقاه الأنصار، ونزل بقباء، وأسَّس مسجدها على تقواه.

محمدٌ ﷺ بشرٌ وليس كالبشرِ

نزَّه محمد ﷺ ربَّه عن الشريك والمثيل، وخصَّه بالألوهية، وما استغاث أو استجار أو استعان بغير ذي الجلال والبهاء. نهى عن الكهانة والسحر وتعليق التمائم شأن الجاهلية، وما حلف أو نذر أو طلب من غير رب السماء وقال: «لا تطروني» كما أطرت ابن مريم الأمة النصرانية، إذ وصفوه بأوصاف الألوهية، وأخرجوه عن مرتبة العبودية التي هي أشرف مراتب الأنبياء، لذلك نهى ﷺ عن مثل هذا الإطراء، وليس في ذلك نهيٌ عن مدحه بما يليق بمقاماته الكمالية والجمالية، التي هي أعلى الصفات البشرية، بل قد مدحه ربُّه في القرآن، وتحدّث هو عن نفسه مع تمام التواضع والأدب مع الله، وسمع ذلك وأجاز عليه وأعطى أفضل العطاء.

وقد أخطأ بعض الناس خطأً قبيحاً حين فَهِم من قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم»، فظن أن هذا فيه النهي عن مدحه والثناء عليه، وفاته ـ بل جهل ـ أن هذا النهي منه ﷺ إنما يتناول ما كان من المدح والثناء باطلاً. لأن الإطراء في المدح أن يُحلى المادح بعقودِ الثناءِ جيداً عاطلاً. فأما ذِكرُ ما اتصف به الممدوح من جميل الخِلال، أو ارتدى به من ملابس الجلال، فليس من الإطراء المنهي عنه في هذا الخبر. وقد عُلم أن النصارى غلوا في عيسى عليه السلام، حتى رفعوه عن رتبة البشر.

وها أنا أذكر نوعاً من وصفه ﷺ غنيّ إجماله عن تفصيل طويل، وأنبه على كثير من فضله بهذا القول القليل، فأقول: إن الله سبحانه فضَّل بعض الأنبياء على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات. وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسنَّة، فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٣] وقد اصطفى الله نبينا على الأنبياء، فجعله لهم ختاماً ومقدماً وإماماً وأولاً وسابقاً ومتبوعاً، وإن كان في الزمان لاحقاً، جمع الله ما فيه ما تفرّق من الفضائل على الوجه الأتم الأكمل، ولا درجة أعظم من درجة الأنبياء، فإنهم أفضل العالمين على الإطلاق، ونبينا ﷺ أفضلُ هذا الأفضل. فهو أفضلُ مخلوقٍ وأكمله، فلا فضل إلا وقد جمعه، ولا

وصف خيرٍ إلاَّ وقد اتصف به، فلهذا فضل أفاضل الخلائق مجتمعين ومتفرقين، واستحق السيادة عليهم أجمعين. وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى هذه السيادة فيما رواه الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبيٍّ يومئذ آدم فمن سواه إلاَّ تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر».

وروى أيضاً بإسناده عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إنّ قريشاً جلسوا فتذكروا أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض. فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله خلقَ الخلقَ فجعلني من خير فرقهم، وخير الفريقين، ثم خيّر القبائل، فجعلني في خير قبيلة، ثم خيّر البيوت، فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً، وخيرهم بيتاً».

وروي أيضاً بإسناده عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر».

وروى الدارمي في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فتسمع حديثهم فإذا بعضهم يقول: عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلاً فإبراهيم خليله، وقال آخر: ماذا بأعجب من أن كلَّم الله موسى تكليماً؟ وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه. وقال آخر: وآدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلَّم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليلُ الله وهو كذلك، وموسى نجيُّه وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيبُ الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك بحلق الجنة ولا فخر فيفتح الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر».

وروى الدارمي أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولهم خروجاً إذا بُعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مُشفعهم إذا حُبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا الكرامة، والمفاتيح يومئذٍ بيدي. وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف عليَّ ألف خادمٍ كأنهم بيضٌ مكنون أو لؤلؤ منثور».

وروى الدارمي أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأوّل الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر».

وروى أيضاً بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى فضَّل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء، قالوا: يا ابن عباس بم فضّله على أهل السماء؟ قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٩]، وقال الله لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾ [الفتح: الآيتان ١، ٢]. قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤] الآية. وقال الله عز وجل لمحمدٍ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سَبَأ: الآية ٢٨] فأرسله إلى الجن والإنس.

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أن النبيَّ ﷺ قال: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهورا، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست، أُوتيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون. وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتُلَّتْ في يدي ـ أي أُلقيت ـ».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسَّم الخلق قسمين، فجعلني في خيرها قسماً، فذلك قوله: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين، وأنا من خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين بيوتاً، فجعلني في خيرهما بيتاً، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: الآيات ٨-١٠] فأنا من خير السابقين. ثم جعل البيوت قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣] فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣].

حديث الشفاعة

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أُتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهش منها نهشة وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون لِمَ ذلك؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فينظرهم

الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس فيبلغ بالناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون مَنْ يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إنَّ ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح! فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وقد سمَّاك الله عبداً شكوراً، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إنَّ ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم! فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبيُّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إنَّ ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلتُ نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى! فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد! فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يُقال: يا محمد ارفع رأسك، واسأل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب. فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى».

والأحاديث في ذلك كثيرة ظاهرة الدلالة على أنه ﷺ قد أُعطي من الخصائص

والفضائل ما فضل به جميع العالمين، وتقدَّم به على الأوَّلين والآخرين، ويكفيك ما حصل له من القرب ليلة الإسراء حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وفاز من الكلام والرؤية بالمقام الأسنى.

وفي قوله ﷺ: «أنا سيد الناس» ما يشير إلى ذلك، ويبيِّن فيه أوضح المسالك، فإن السيد من ساد غيره بجميع المناقب، وذلك مشعر بعلو المراتب.

وفي قوله ﷺ: «ما من نبي. . . آدم فمن سواه إلا تحت لوائي» إشارة إلى التبعية والسيادة. إذ لا يحمل لواء القوم إلا أميرهم وسيدهم وقائدهم على ما عرف للعرب من العادة.

وقوله في الحديث الآخر: «فأنا خيرهم نفساً» صريح في التفضيل ومثبت لهذا الحكم بأوضح دليل. وكذلك قوله: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم»، والإمام أفضل من المأموم وكذلك الشافع. وهو صريح في التبعية، والمتبوع أفضل من التابع!.

وقوله في الحديث الآخر عند ذكر خصيصة كل شيء: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر» تحقيق للمعنى المتقدم من السيادة والتقدم.

وقوله بعده: «وأنا أول من يحرِّك حلق الجنة» دليل على سبقه إلى الثواب ومرتبته بأنه أول من يُفتح له الباب. ثم إنه ﷺ أكد هذا المعنى بقوله في هذا الحديث: «وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر» وهو نص فيما أوردناه، ودليل مثبت لما قلناه.

وفي حديث الشفاعة من بيان فضله وخصوصيته على غيره ما لا يخفى، وفيه إثبات الشفاعة العظمى، وهي إحدى الشفاعات الخمس التي لنبينا ﷺ التي لم يجمعها أحد سواه. وهي الشفاعة في الموقف لفصل القضاء، والشفاعة فيمن يدخل الجنة من أمَّته بغير حساب، ليدخلوا معه عند دخول الفقراء، والشفاعة في قوم ليخرجوا من النار، والشفاعة في قوم ليدخلوا الجنة ممن حبستهم الأوزار، والشفاعة في قوم لرفع الدرجات. ومجموع هذه الشفاعات لم يثبت لغيره في وقت من الأوقات.

وفي الحديث دقيقة أخرى، وهي أن كلَّ نبيٍّ إنما يدل على من بعده من المذكورين في الحديث، ولا يبتدىء بالدلالة على النبيِّ ﷺ لإظهار فضله ومرتبته على البقية، فلو دلَّ عليه آدم ابتداءً ليشفع لم يظهر إحجام غيره عن الشفاعة، بل دلَّ على من يحجم ليحجم ذلك المدلول عليه، ويدل على من يحجم بعده، إلى أن ينتهي إلى النبيِّ ﷺ فيقوم بها ويقول: «أنا لها»، وفيه مما يحقق ذلك أن كل نبيٍّ يذكر له مانعاً إلا عيسى، فإنه يمتنع ولم يذكر ذنباً، وذلك دليل على أن امتناعه لكونها لغيره!.

وفي الحديث دقيقة أخرى يفهم من ذكر نبيٍّ لما يمنعه من الشفاعة أن الله سبحانه وتعالى لم يعلمهم ما أعلم به نبيه محمداً ﷺ من غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إذ لو أعلمهم لم يخشوا في ذلك المقام، ولم يجعل كل منهم ما ذكره سبباً للإحجام.

أخلاقُهُ ﷺ

آثر المسلمون رسولهم على أهليهم لأخلاقه الرَّضِيَّة، فما قال لخادمه أُفٍّ، ولا حقد على إنسان، وكان يعطف على رعيَّته، ويستشير عقلاءهم في الأمور الدُّنيوية، ويُكرم ضيفه، ويحفظ حقَّ جاره، ويُغيث اللَّهفان، يُكنِّي أصحابه بأحبِّ الأسماء إلى نفوسهم الأبِيَّة، ويبدأُ الناس بالسلام، ولا يحتقر إنساناً أيّاً كان، وكان بشوشاً مع الناس، دائم البِشْرِ، سَمحَ السَّجِيَّة، لا يقطع حديث مُتحدّث، بل ينصرف إليه بكل اطمئنانٍ، نهى عن اللَّغو، وإذا مزح قال الصدق والأشياء الحقيقيَّة! وكان كلامه فصلاً ليِّناً، يفهَمُهُ كل إنسان، وكانت نُصْرَةُ المظلوم أحبَّ الأمور إلى نفسه الزَّكيَّة، وما جرَّب عليه قومه الكذب أو قلَّة الائتمان. وقد طابقت أقواله أفعاله المثاليَّة، فصار المثل الكامِلَ للإنسان في كلِّ زمان.

عَفْوُهُ وصَبْرُهُ ﷺ

لا ينتقم لنفسه أو يغضب لها، وكان الحِلْمُ فيه سجيَّة، فلقد عفا عن أعدائه الذين شنُّوا عليه العدوان، وطلبت قبيلة هوازن العفو من صاحب الشريعة الحنيفيَّة فأطلقهم، لأنه رضِعَ في هوازن، فيا للوفاء والحنان! ويموت أولاده وأعزَّاؤه فيصبر لكل بليَّةٍ راضياً بقضاء الله، ومستسلماً لحُكْمِ الدَّيَّان.

الرَّسول والأطفالُ

وكان النبيُّ ﷺ يُلاطف الصِّبْيَة، وإذا رآهم بادرهم بالتحيَّة، ولا يستاءُ إذا رُزِقَ بالبنات، ويعاملهُنَّ بالإحسان. حثَّ على تعليم الأطفال وتقويمهم، والمساواة بينهم بالعطِيَّة، وكان يُرَبِّيهم على الشجاعة والثقة بالنفس والإيمان، فيا أيُّها المسلمون، كلّكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن الرَّعيَّة، فأدِّبوا أولادكم ورَعِيَّتكم بآداب القرآن، وعلِّمُوهُم دِيْنَهم العظيم، وسِيْرَة نبيِّهم السويَّة، ليُرْشِدُوا العَالَم الحائِر إلى شاطىء الخير والأمان.

يا مَنْ له الأخلاقُ ما تَهوَى العُلا ... منها وما يتعشَّقُ الكُبَرَاءُ
فإذا سخَوْتَ بلَغْتَ بالجُودِ المدَى ... وفعلت ما لا تفعلُ الأنواءُ
وإذا عَفَوتَ فقادِراً ومُقَدَّراً ... لا يستهِينُ بعَفْوِكَ الجُبناءُ
وإذا رَحِمْتَ فأنتَ أُمٌّ أو أبٌ ... هذانِ في الدُّنيا هما الرُّحماءُ

وإذا خَطَبْتَ فللمنابرِ هِزَّةٌ تَعْرُو النَّبِيَّ وللقلوبِ بُكاءُ
وإذا أخذْتَ العَهْدَ أو أعْطَيْتَهُ فجميعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ ووفاءُ

إصلاحُهُ ﷺ للمُجْتَمَع

دعا النَّاس إلى التَّعاون والتَّحابب والعدالة الاجتماعيَّة، وأنصف الضعيف من القويِّ، وقاربَ بين الفقراءِ وذَوِي اليسار. جاء بدين يُغني عن الشُّيوعية [والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية وغيرها من النظم والقوانين الوضعية]، ويُنْقِذُ من شرورِ الإباحيَّة، ويُشَخِّصُ أمراض المجتمع، فيصِفُ أحسن علاجٍ في هذا المضمار، حرَّم الخمر والزِّنى والقمار والإسراف والحمِيَّة الجاهلية، ودعا إلى العفافِ والشَّهامة والإخاءِ وحُسْنِ الجوارِ، ثار على الخُرفات والتَّواكل والجمود، وأمر باستخدام [الأسباب من] القوى الكونية، ومنع الطَّمع والبُخْل والبطالة والرَّشوة والغِشَّ والاحتِكار. كان أوَّل مَنْ قرر حقوق الإنسان وأزال الفروق العنصرية، فمنع بذلك الحروب، ووطَّد السَّلام في الدِّيار.

ومَنَعَ استِبْداد الحكام، وقرَّر الأصول الشُّوريَّة وأعلن المساواة بين الناس، فكلُّهم متساوون أحرار وأنْقَذَ المرأة بمنْعِ الوأْدِ، واحتِرامِ الأُم، وحِفْظِ الحقوق الزوجيَّة.

لقد فَرَضَ طلبَ العِلْمِ على الكبار والصغار وأنْصَفَ العمَّال والكادِحين، وخلَّص الرقيق من المعاملة البربريَّة ودعا للرِّفْقِ بالإنسان والحيوان ومنع الاستعمار [والاستغلال والاستعباد](١).

فلولاه لسارَ الكونُ إلى الانهيار. لقد أعلن الحرب على المُرابين الذين يُسَبِّبُونَ الضائقات الاقتصاديَّة، ويمتصُّونَ دماء الفقراء بالظُّلمِ والاستِئثارِ، أمَرَ بالصلاة وهي رياضةٌ روحيَّةٌ وجسميَّة، ودعا للنظافة والمُداواة والبُعد عن الأمراض والانتحار، نهى عن التقليد الأعمى، ورفع شأن العقل والشجاعة الأدبيَّة، وأمر بالتيَّقُظ، وحرَّم الإشاعات الكاذِبة والخيانة وإفشاء الأسرار، حثَّ على الدعوة إلى الله بالطُّرق السَّلِيميَّة، ولم يُكْرِه أحداً على الإسلام، بل ترك للناس الخِيار. وآمن النبيُّ ﷺ بما تقدَّمَهُ من رسائِلَ سماويَّة، ولقد بشَّرَتْ به الأنبياءُ والكتبُ، وعرفَهُ الرُّهبان والأحْبَار، جاء الناس بالتسامح والتكافُل والآداب الاجتماعية، وأمَرَ بالعدل والإحسان والتَّناصح والإيثار.

مُعاملته ﷺ للذِّمِّيين

ما عرفَتِ البشريَّة مُتسامِحاً مثله مع الأُمم غير الإسلامية، وما شاهد الذِّمِّيُونَ كدِينِهِ يكفل لهم الرَّخاء، فلقد أوصى بهم خيراً، وعاملهم بالإحسان والمعروف وعدمِ الإيذاء.

---

(١) ما بين معقوفتين [ ] هو من زيادات المحقق.

جُودُهُ ﷺ

ما عُرِفَ عنه أنه رَدَّ مُحْتاجاً بدون عَطِيَّة، وربما جاد بِبُرْدَته وهو لها أحوَجُ من الفقراء، وكان يُعْطي عطاءَ من لا يخشى الإقلال من ربّ البَرِيَّة، وإنَّ جُودَهُ وسخاءَهُ لله لا للرِّياء.

تواضُعُه ﷺ وحياتُه المعيشيَّة

وكان لا يأخُذُ ممّا آتاهُ الله إلاّ أقْوَاتَه الضرورية، ويأكل مع الخادم، ويحمِلُ حوائجه بدون استحياءٍ. ما مال إلى فَخْرٍ، ولا سعى إلى رئاسة دُنيويَّة، وكان يكره التَّعاظم والتَّزَلُّفَ والإطراء. وكان يخدمُ نفسه، ويقضي حوائج المساكين والضُّعفاء، مات ودِرْعُهُ مرهونَةٌ، ولم يُخَلِّفَ ضِياعاً ولا قصوراً علِيَّة، وربما مكث الأيام جائعاً وطعامه التَّمر والماء. فكان هذا القائد العظيمُ يشُدُّ الحجر على بطنه لِتَشْبَعَ الرَّعِيَّة، ليُعْطي درساً عمليّاً للأُمراء والرُّؤساء، فِرَاشُهُ عباءَةٌ، ومسكنه حُجُراتٌ من اللّبْنِ مبنِيَّة، ولُبْسُهُ كما يلبِسُ عامَّة المسلمين الفقراء، وكان يكرَهُ أن يتميَّز على أصحابه، وينصرف لمحدِّثِهِ بالكُلِّيَّة. ودعا إلى التَّواضع، وقضى على تكبُّر الملوك والزُّعماء. ويُرادِفُ على دابَّته من يراهُ ماشياً بدون مطِيَّةٍ، ويجلِسُ حيث انتهى به المجلس، ليُعَلِّمنا ترك الكِبْرِياء.

حروبُهُ ﷺ وشجاعَتُهُ

وكان ﷺ يُضَمِّرُ الخَيْلَ، ويَوصي بتعلُّم الفنون الحربيَّة، ويحُضُّ على السِّباحة والرِّماية وركوبِ الخيل جماعَتَه المسلمين، لَم يقتصِرْ على الوعْظِ، وإنما تهيَّأ لحماية الدَّعوة المحمديَّة، فألَّفَ جيشاً مُطِيعاً مُنظَّماً يشتاق لجنَّة المُجَاهدين، قاوم قُرَيْشاً في بدرٍ بكتِيبَةٍ لا تُضاهي الجيوش القُرَشِيَّة، فخُذِلَ المُشْركون ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنَافِقون: الآية ٨]، ولم تكن حروب هذا النبيِّ لغايةٍ استعمارية، وإنما كانت [لإنقاذ البشرية من ظلمة كثرة الشرك والكفر الخيالية وهدايتهم إلى حقيقة نور وحدة الذات الإلٰهية وتوحيد الأفعال والأسماء والصفات الربانية بما جاء لهم به من إسلام وإيمان وإحسان](١) لتحرير الضعفاء، ونَشْرِ العدل، ومَحْقِ الظَّالمين، وكان حَسَنَ الاستخْبَار، حسن التكتُّم للأسرار الحربيَّة، وكان يَسْبِقُ الناس إلى العدُوّ، ليُعَلِّمنا البطولة في الميادين.

سياسَتُه ﷺ

وهو البصيرُ بالشؤون السياسيَّة والحقوق الدوليَّة، فيعْقدُ المعاهدات، ويسيِّرُ أمور الدولة، ويُكاتب الحاكمين. آخى بين الأنصار والمهاجرين، فما أجملها من أخوَّةٍ دينيَّة!

وجَمَعَ العرب بحُسْنِ سياستِهِ بعد أن كانوا متفرّقين، وفتح مكَّة حِصْنَ المُشركين ذَوِي النُّفوس القويَّة، فألَّفَ القلوب المُتنافرة، وأزال أضغان المُتَعادين، وعفا عن أعدائه الذين فعلُوا الأفاعيل العدوانية، مُتَّبِعاً بذلك سياسته القوِيمَةَ، سياسة الرِّفْقِ واللِّين، جعل معتوقَه زيداً قائداً، ووجَّهَهُ لمُقاومة الدولة الرُّومانية، وأمَّر الفتى أسامة لِخِبْرَتِهِ على جيشٍ من الأنصارِ والمهاجرين، ليُدَرِبَ الشَّباب على أعمال القيادة العسكريَّة، ولكي يُنبِّهَ الأذهان لشأن الشباب في جميع الميادين.

مَنْ للزمَّانِ بمِثْلِ فَضْلِ مُحمَّدٍ ... وعدالَةٍ كعدالَةِ الخطَّابِ
رفَعَ الرَّسُولُ عِمادَ أُمَّةِ يَعْرُبٍ ... وأعَزَّها بالآلِ والأصْحابِ
مَشَتِ الفُتُوحُ وصفَّقَتْ راياتُهَا ... في الشَّرْقِ فوق أباطِح وهِضابِ
وتَغَلْغَلَتْ في الغَرْبِ طائِرَةً على ... أكْتافِ صَقرٍ جَارِحٍ وعُقابِ

معجزاتُهُ ﷺ

اعلم أن سيدنا محمداً ﷺ هو أكثر الأنبياء معجزات ودلائل، وأظهرهم فضائل وفواضل، وأبهرهم محاسن وشمائل، وأشهرهم في الكتب السماوية علامات وبشائر، وأصدقهم شواهد وردت عن الأوائل والأواخر، وأقواهم براهين، وأوضحهم آيات بيّنات، وأرفعهم مقامات، وأشرفهم حالات، وأفضلهم في جميع الصفات من كل الجهات، وإنما كان ﷺ كذلك لأنه أكثرهم أمةً، وأشملهم دعوةً، وأكملهم شريعةً، وخاتمهم نبوّةً وآخرهم رسالة، ولهذا كان العالم أجمع محتاجاً إلى رسالته وثبوتها أكثر من احتياجه إلى رسالات سائر النبيِّين، لأن كل رسول كان يأتي بعده رسول يقرر ما أتى به الأول، أو يتممه، أو يأتي بشرعٍ جديد، حتى بعث الله سيدنا محمداً ﷺ وختم به نبوة الأنبياء ورسالة الرسل عليه وعليهم السلام، فنسخ شَرْعُهُ تلك الشرائع، وأغرق بَحرُهُ هاتيك الجداول، وأخفت شَمسُهُ تلك الكواكب، فكان هو ﷺ نبيَّ الأنبياء والمرسلين، ورسول الخلائق أجمعين. وشرعه البحر المحيط الذي لم يخرج عنه شيء من الشرائع السابقة إلا ما نسخه بسواه. وقد زاد عنها بأضعاف لا تُحصى من أحكام وأنوار وأسرار، لا يعلمها إلاَّ الله ومَنْ عَلَّمه الله، ولذلك كانت معجزاته ودلائل نبوته ﷺ أكثر وأعظم، وأظهر وأدوم من سائر معجزات النبيين ودلائل نبواتهم، بل لو اجتمع ما ظهر على أيديهم من ذلك مضاعفاً أضعافاً كثيرة لما عادل معجزة واحدة له ﷺ، وهي القرآن، كما أن جميع فضائلهم صلوات الله عليه وعليهم، لو اجتمعت لما عادلت فضيلة واحدة له ﷺ وهي المعراج، وما حصل له فيه من الأنوار والأسرار والحب والقرب في تلك الليلة المباركة، فما بالك ومعجزاته وفضائله ﷺ لا تُحصى عدداً، ولا تنقطع في حياته وبعد وفاته مدداً، ولم يرد لأحد منهم صلوات الله عليهم معجزة إلاَّ ورد له ﷺ ما هو أعظم

منها أو مثلها، وقد انقضت معجزاتهم بانقضائهم، وله ﷺ من المعجزات الباقية ما لا يُحصى ولا يُعد، فمن ذلك ـ بل أعظم ما هنالك ـ كلام الله القديم، وقرآنه الكريم، فإنه يشتمل على آلاف كثيرة من المعجزات والدلائل، والكمالات والفضائل، والبراهين القاطعة، والآيات الساطعة، وشمس آياته مستمرة الطلوع على جميع الآفاق، سافرة الأنوار، باهرة الأبصار، دائمة الإشراق، ومن ذلك ما أخبر به ﷺ في حياته؛ بأنه سيقع بعد وفاته من أشياء كثيرة لا تدخل تحت الحصر، ومن جملتها أشراط الساعة وعلامتها، وقد وقع كثير من تلك الأشياء في الأعصر السالفة طبق ما أخبر به ﷺ، والوقوع مستمر في كل زمان ومكان، ولا ريب أن ما لم يقع منها إلى الآن سيقع في مستقبل الزمان. . . كأشراط الساعة الكبرى. فإنه لو أخبر إنسانٌ بألف خبر مثلاً، وتبين صدقُه بتسعمائة وتسعة وتسعين منها، فلا يشك أحدٌ بأن الخبرَ الباقي سيتبين صدقه فيه أيضاً. وهذا مثال تقريبي، وإلاَّ فأمر النبيِّ ﷺ أعظم من ذلك، وصدقه محقق أكثر من هذا المخبر المفروض بما لا يقبل النسبة، لأن هذا المخبر يحتمل خبره الكذب احتمالاً ضعيفاً، بنسبة الواحد إلى الألف. وأما النبيُّ ﷺ فإنه بالنظر إلى كثرة البشائر به قبل وجوده من الكتب السماوية، والأحبار والرهبان، والجن والكهان، وكثرة معجزاته المتنوعة، وتحقق صدقه في جميع ما ظهر في حياته وبعد مماته، مما أخبر به من الغيوب المتنوعة أنواعاً كثيرة مع كمال شمائله، وغزارة فضائله، واشتهاره قبل النبوة وبعدها عند قومه بالصدق والأمانة؛ حتى كانوا يدعُونه الأمين. ولم تُؤثر عنه كِذبةٌ قط قبل النبوّة وبعدها! فحينئذ لا يحتمل خبره الكذب قطعاً، ولا يشك في صدقِه إلاَّ من عَميتْ منهم البصائر، أو لا تبلغهم المعجزات والبشائر، ومن ذلك كرامات أولياء أمته ﷺ، فإنها كلها معجزات له، وهي مستمرة الوقوع في جميع الأعصار والأقطار، ولو حُسِبَ ما يقع منها في جميع الجهات في الشهر الواحد مثلاً، لبلغ أُلوفَ أُلوفٍ! وقد استفاضت في العالمين، وملأت الكتب والدواوين، وذلك قطرة من بحر ما لم يدوَّن منها ومر بمرور الزمان، واستقرّ في زوايا العدم كأنه ما كان، وقلما يخلو مسلم له حسن اعتقاد بأولياء الله من مشاهدة شيء منها، وكثيراً ما يشاهد بعض المنتقدين كراماتهم، ولا يؤمن بولايتهم، كما أن كثيراً من المشركين كانوا يشاهدون معجزات النبيِّ ﷺ ولا يؤمنون به. وكراماتهم رضي الله عنهم هي فروع معجزاته ﷺ، كما أنهم هم بمنزلة فروعه أيضا، فلا بد أن يحصل لهم ولكراماتهم حظ ونصيب مما حصل له ولمعجزاته ﷺ من إنكار أهل الإنكار، ومكابرة أهل العناد، وقد تناقل معجزاته ﷺ أئمة أمته في جميع الأزمنة والأمكنة، جيل عن جيل، وخلف عن سلف، رواها التابعون عن الصحابة وعنهم من بعدهم من علماء الأمة، وجهابذة الملة، وحفاظ الحديث في القديم والحديث، ودونوا فيها الكتب والأسفار، ونشروها في جميع البلاد في جميع الأعصار.

ثناء الله عليه في القرآن

أما ثناء الله عليه في كتابه العزيز، فقد أخبر الله تعالى في كتابه العربَ أنه بعث إليهم رسولاً من أنفسهم، عليّ القدرِ لديهم، يعرفون فضله ومكانته، ويتحققون صدقه وأمانته، عزيزاً عليه ما يهوي بهم في الهوان، حريصاً على دخولهم إلى دار أمان الإيمان، شريف النسب فيهم رؤوفاً رحيماً بمؤمنيهم، وأناله من نيل الكرامة غاية السؤال، وقرن طاعَتَهُ بطاعَتِهِ في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: الآية ٨٠] وأطلع في أفق التوفيق نجمه، ورحم العالمين به فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] فمن أصابه شيء من رحمته فقد فاز، ووصل إلى كعبة النجاة من غير حجاز، وحصَّنه من سور كتابه العزيز بأمنع سور، وسمَّاه فيه نوراً بقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المَائدة: الآية ١٥]، وأرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وشرح بالرسالة صدره، ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، ورفع بذكره معه في الشهادتين ذكره، وأظهر دينه على الدين كله وعظَّم أمره ورمى المشركين منه بالمقعد المقيم، ونعته في أم الكتاب بالصراط المستقيم، وآتاه سبعاً من المثاني، وأكرمه بمنزلة محكمة المباني، وبعثه حرزاً للأميين، ووضع كتاب الأبرار به في علِّيين، ورفعه إلى المحل الأسنى، وقرَّبه منه، فكان قاب قوسين أو أدنى، ونزَّه لسانَه عن النطق بهواه، وفؤاده عن الكذب فيما رآه، وبصره عن الزيغ والالتفات، وزكَّى حملته الجميلة وعصمها من الآفات، وأقسم على أنه ما ودَّعه ولا قلاه، ولم يقسم بحياة أحدٍ في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحِجر: الآية ٧٢] من الخلق سواه، وزوى له أرض الخيرات طولاً وعرضاً، حيث أنزل عليه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: الآية ٥]، وأيده بأظهر البراهين، وأبهر المعجزات، وأراده من تلك الرسل بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٥]، ودرأ العذاب عن أهل مكة لكونه بواديهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]، وأمر الذين هم في حلية الإيمان به مجلون أن يصلوا ويُسلِّموا عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦]، وأعطاه الكوثر، وردّ على عدوِّه بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكَوثر: الآية ٣]، وطهَّره من الأقذارِ والأدناس، وبيَّن عِصمتَه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المَائدة: الآية ٦٧]، وأحسن مخاطبته في سورة (نون) ووعده فيها بأجرٍ غير ممنوع ولا ممنون، وأثنى عليه ثناءً يحل أن يحمله رسول النسيم، وبالغ في التمجيد والتأكيد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: الآية ٤] وأتحفه تبارك اسمه في سورة (الفتح) بجزيل الصلات والواصلات والمنح من ظهوره وغلبته، وعلو شراع شريعته وكلمته، وخضوع ترفع من أعدائه وتكبر، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإتمام النعمة عليه، وإرسال الهداية

إليه، ونصره النصر العزيز، ونصب حال مَنْ حوله على التمييز، وإنزال السكينة على قلب مَنْ تابعه، ورضاه عمن تحت الشجرة من أصحابه بايعه، وكم له ﷺ من معارف معروفة، ومآثر مأثورة.

شَهِدَ الكِتابُ بأن أحمدَ مُرْسَلٌ ... مِنْ صاحِبِ الملكُوتِ جلَّ جلالُهُ
كم آيةٍ فيها اسْمُهُ يُتْلَى وكَمْ ... أُخْرَى بها أوصافُهُ وخِلالُهُ
واللَّه أقْسَمَ صادِقاً بحياتِهِ ... في مُحْكَمٍ شَرَحَ الصُدورَ مقالُهُ
سُبْحانَ من أولاه أنواع الولا ... وأنالَهُ ما لا يُرامُ مَنالُهُ
أزكى الصلاةِ عليه مِنْ ربِّ العُلا ... أبداً وخصَّص بالتحيَّةِ آلَهُ

«الصّلاة والسّلامُ عليكَ»

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٧١].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عِمران: الآية ١٣٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النّور: الآية ٥٦].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عِمران: الآية ٣٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التّغابُن: الآية ٨].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النّساء: الآية ٨٠].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التّغابُن: الآية ١٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النّور: الآية ٥٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنفال: الآية ٢٠].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصَّف: الآية ٩].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحديد: الآية ٨].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: الآية ٧٣].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: الآية ٥٥].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: الآية ٢٨].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمَّد: الآية ٣٣].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: الآية ٩٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٧].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: الآيتان ٨، ٩]. «تعزروه أي: تقووه».

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرَات: الآية ١٥].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: الآية ٧].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾

[النِّساء: الآية ٦٩].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النِّساء: الآية ١٣٦].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٤٥].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النِّساء: الآية ١٧٠].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النُّور: الآية ٥٤].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: الآية ٤٦].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ [الأنفال: الآية ١٣].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة: الآية ٦٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النُّور: الآية ٥٦].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢١].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ [محمَّد: الآية ٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: الآية ٨].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: الآية ٥٦].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ

بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عِمران: الآية ١٧٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النِّساء: الآية ١٣].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافِقون: الآية ٨].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: الآية ١٧].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: الآية ٢٦].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحَديد: الآية ٢٨] «كفلين، أي: نصيبين».

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّساء: الآية ١١٥].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المَائدة: الآية ٦٧].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النُّور: الآية ٦٢].

الصلاة والسلام عليك يا من قال في حقك الله: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [التوبة: الآية ٨٨].

اللّهمّ صلّ وسلّم وبارك عليه

السَّلامُ عَلَيْكَ زَيْنَ الأَنْبِيَاءِ
السَّلامُ عَلَيْكَ أَتْقَى الأَتْقِيَاءِ
السَّلامُ عَلَيْكَ أَصْفَى الأَصْفِيَاءِ
السَّلامُ عَلَيْكَ أَزْكَى الأَزْكِيَاءِ
السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ
السَّلامُ عَلَيْكَ دَائِماً بِلا انْقِضَاءِ
السَّلامُ عَلَيْكَ أَحمَدُ يا حَبِيبِي
السَّلامُ عَلَيْكَ طٰهَ يا طَبِيبِي
السَّلامُ عَلَيْكَ يا مِسْكِي وطِيبِي
السَّلامُ عَلَيْكَ أَحْمَدُ يا مُحَمَّد
السَّلامُ عَلَيْكَ طٰهَ يا مُمَجَّد
السَّلامُ عَلَيْكَ يا حُسْناً تَفَرَّد
السَّلامُ عَلَيْكَ يا خَيْرَ الأَنَامِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا بَدْرَ التَّمَامِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ الظَّلاَمِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا كُلَّ المَرَامِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا ذَا المُعجِزَاتِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا ذَا البَيِّنَاتِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا هَادِي الهُدَاةِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا ذُخرَ العُصَاةِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَسَنَ الصِّفَاتِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا ذَا المَوهِبَاتِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا رُكْنَ الصَّلاَحِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَبَّ السَّمَاحِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا زَينَ المِلاحِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا دَاعِي الفَلاحِ
السَّلامُ عَلَيْكَ يا نُورَ الصَّبَاحِ

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا حَيَّ الفَلاَحِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا ضَوْءَ البَصَائِرِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا عَالِي المَفَاخِرِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا بَحرَ الذَّخَائِرِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ المُقَدَّمِ للإمَامَةِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ المُشَفَّعِ في القِيَامَةِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ المُظَلَّلِ بالغَمَامَةِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ المُتَوَّجِ بالكَرَامَةِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ الخُلاصَةِ مِن تِهَامَةِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ المُبَشِّرِ بالسَّلامَةِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ مُحَمَّدِ الرَّسُولِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ النَّبِيِّ أَبِي البَتُولِ
السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَجْهَ الجَمِيلِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرَفِ المُرْسلين سيِّدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجْمَعين.

اللَّهُمَّ أنت أحقُّ من ذُكِرَ وأحَقُّ مَنْ عُبِد وأرْأفُ من مَلَكَ وأجْوَدُ مَنْ سُئِل وأوسع من أعْطَى أنتَ المَلِكُ لا شريكَ لك والفَرْدُ لا نِدَّ لك، كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلاَّ وجهَكَ لا تُطاعُ إلاَّ بإذنِك، ولن تُعْصَى إلاَّ بِعِلْمِك تُطاعُ فتَشْكُرْ وتُعْصَى فتَغْفِرْ أقْرَبُ شهيد وأدنى حفيظ حُلْتَ دون النُّفوس وأخذتَ بالنَّواصي وكتبتَ الآثار ونسخْتَ الآجال القلوبُ لك مُفضِية والسرُّ عندَكَ علانِيَة، الحلالُ ما أحلَلْت والحرام ما حرَّمت، والدِّينُ ما شرَعْتَ والأمْرُ ما قضَيْتَ والخَلْقُ خَلْقُكَ والعبدُ عبدُك وأنت الله الغفورُ الرَّحيم نسألُكَ بنُورِ وجهِكَ الكريم الذي أشرَقَتْ له السَّموات والأرض وبكل حقّ هو لك وبحقّ السَّائلين عليك أن تُقيلنا وتُجِيرنا من النَّارِ بقُدْرَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمين.

اللَّهُمَّ نحمدُكَ على ما هديْتَ ونشكرُكَ على جزيل ما أسدَيْتَ ونستعينُكَ على رِعايَةِ ما أسْبَغت مِنَ النِّعم ونستهديك الشُّكر على ما كفيت من النِّقَم، ونعوذُ بك من عثراتِ اللِّسان وغفلاتِ الجَنان ومن غدَرَاتِ الزَّمان، ونسألُكَ اللُّطف فيما قضيْتَ وقدَّرْتَ والمعونة على ما أمضيْتَ ونستغفرك من قولٍ يعقُبُهُ النَّدم أو فعلٍ تزِلُّ به القَدَم، فأنت الثقة لمن توكَّل عليك والعِصْمة لمن فوَّضَ أمرَهُ إليك، وأُفوّض أمري إلى الله إنَّ الله بصيرٌ

بالعباد، ربَّنا عليك توكَلْنا وإليك أنَبْنا وإليك المصير. اللَّهُمَّ افتَحْ مسامِعَ قلوبنا لذكرك وارزقنا طاعتَكَ وطاعَةَ نبيِّكْ سيِّدنا محمَّد ﷺ وعَمَلاً بكتابِكَ واتِّباعاً لسُنَّة نبيّك محمد ﷺ.

اللهمَّ اجعلنا نخشاكْ وكأنَّا نراك أبداً حتى نلقاكْ وأسعِدنا بتقواكْ ولا تُشْقِنا بمعصيتك.

اللهمَّ إنَّا نسألُكَ الهُدَى والتُّقى والعفاف والغِنَى وحُسْنَ الظَّنّ وحُسْنَ الخُلُقْ.

اللهمَّ أغْنِنَا بحلالكَ عن حرامِكْ وبطاعتِكَ عن معصِيَتِك وبفضلِكَ عمَّن سِوَاك.

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من جَهْدِ البلاء ودَرْكِ الشَّقاء وسُوءِ القضاء وشماتَةِ الأعداء وعُضالِ الدَّاء وخَيْبَةِ الرَّجاء.

اللهمَّ طَهّر قلوبنا من النِّفاق وأعمالنا من الرّياء وألسِنَتنا من الكَذِب وأعيُنَنا من الخيانة إنك تعلمُ خائِنَةَ الأعينِ وما تُخْفِي الصُّدور.

اللهمَّ جمّل أمورنا ما أحييتنا وعافِنا ما أبقَيْتنا وبارِك لنا فيما خوَّلْتنا واحفظْ علينا ما أوْلَيْتنا وارحمنا إذا توَفَّيْتَنا وسامِحْنا إذا حاسَبْتنا ولا تَسْلُبنا الإيمان وقد هديتنا.

اللهمَّ إنَّا نسألُكَ رحمةً من عندك تَهْدِي بها قلوبنا وتجمَعُ بها شَمْلنا وتَلُمُّ بها شعثَنا وترُدُّ بها الفِتَنَ عنَّا وتُصلح بها حالنا وتَحْفظ بها غائِبَنا وتَرْفع بها شاهِدَنا، وتُبيّض بها وجوهنا وتُزكّي بها أعمالنا وتُلْهِمنا بها رُشْدنا وتَعْصِمُنا من كل سُوءْ.

اللهمَّ اعْطِنا إيماناً صادِقاً ويَقِيناً ليس بعده كُفرٌ ورحمةً ننالُ بها شرَفَ كرامَتِكَ.

اللهُمَّ إنَّا نسألُكَ الفوْزَ عند القضاء ونُزُلَ الشُّهداء ومُرافقة الأنبياء والنَّصْر على الأعداء.

اللهمَّ خُذ بأيدينا في المضائِقْ واكشِفْ لنا وجُوهَ الحقائِق ووفِّقْنا لِمَا تُحِب وتَرْضى واعصِمْنا من الزَّلَلِ ولا تَسْلُبنا سِتْرَ إحسانِكَ وقِنَا مصارِعَ السُّوء واكْفِنا كَيْدَ الخائنين وشماتَةَ الأضداد والطُفْ بنا في سائِرِ تصرُفاتنا واكْفِنا من جميعِ جِهَاتنا يا أرْحَم الرَّاحِمِين.

اللهمَّ اعْطِنا مِنَ الدُّنيا ما تَقِيْنا به فِتْنَتها وتُغْنينا به عن أهلها ويكون بلاغاً لنا إلى ما هو خيرٌ منها فإنَّه لا حَوْلَ ولا قوَّة إلا بِك.

اللهُمَّ إنَّا نسألُكَ نِعْمَةً تامَّة ورحمةً شامِلَة وعافِيَةً دائِمَة وعَيْشاً رَغِيْداً وعُمْراً سعِيداً وإحساناً تامّاً وإنْعَاماً عامّاً وعَمَلاً صالِحاً وعِلْماً نافِعاً ورِزْقاً واسِعاً.

اللهمَّ كُنْ لنا ولا تكُن علينا، واختِمْ بالسعادةِ آجالَنا وحقّق بالزِّيادةِ أعمالنا، واقْرِنْ بالعافيَةِ غُدُوَّنا وآصالَنا واجْعَلْ إلى رَحْمتِكَ مَصِيرنا ومآلَنا، واصبُبْ سِجَالَ عَفوِكَ على ذُنُوبنا ومُنَّ علينا بإصلاحِ أعمالِنا واسْتُرْ عيوبنا واجعلِ التَّقوى زادَنَا وفي دِينِكَ اجتهادَنَا وعليك توكُّلُنا واعتِمادُنا.